أساس العلاقات بين الزوجين في الإسلام

العلاقة بين الزوجين في الإسلام تستمد وجودها من ينبوع المودة والرحمة، لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [1]. هذا هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقة بين الزوجين في الإسلام.

ولضمان استمرار المودة والرحمة بين الزوجين في الإسلام قررت الشريعة لكل منهما حقوقاً معينة قبل الطرف الآخر، وهذه الحقوق تكاد تكون متساوية باستثناء حق القوامة الذي قرر للرجل باعتبارات معينة لسنا الآن بصدد الإفاضة فيها.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما تقدم بقوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [3].

كما أشار الرسول ﷺ إلى جانب من هذه الحقوق بقوله ﷺ: **"ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن-.**

وإذا كان الإسلام قد أعطى حق قوامة للرجل على المرأة فلا يفهم من هذا إطلاق الحبل على الغارب للرجل ليتحكم ويستبد بالمرأة، وإنما معناه أن يتصرف في أمور الأسرة بما لا يتنافى مع

(1) الآية 21 من سورة الروم.
(2) الآية 288 من سورة البقرة.
(3) الآية 34 من سورة النساء.

روح الشريعة وتعاليمها من وجوب الترفق بزوجته ومعاملتها بالحسنى، إذ يقول عليه السلام: **"أوصيكم بالنساء فإنهن عندكم عوان اتخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله-**، ويقول: **"خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي-** ويقول: **"من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذي جاره واستوصوا بالنساء خيرا-**، وأحاديث الرسول ﷺ في هذا الشأن لا تكاد تحصى.

هذا والشأن في الرجل المؤمن المتمسك بتعاليم دينه الحريص على رضاء ربه أن يؤدي ما عليه من حقوق إزاء زوجه بصدر رحب ونفس راضية.

والشأن في المرأة المؤمنة أن تعتبر طاعتها لزوجها في كل ما ليس بمعصية من طاعة الله عز وجل، إذ يقول الرسول الكريم في هذا الشأن: **"لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها، حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه-**.

ويقول: **"إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح-**.

ويقول: **"لا تصوم امرأة – وزجها شاهد يوماً من غير رمضان إلا بإذنه-**.

ولك أن تتصور أى سعادة هذه التي ترفرف أعلامها على بيت الزوجية الذي يلتزم فيه كلٌّ من الزوجين حدود الله وتعاليمه تجاه شريك حياته.

لك أن تتخيل أى نعيم يمكن أن يعبق به بيت الزوجية، إذا كان الرجل فيه باراً بزوجته عطوفاً عليها، يعاملها بالحسنى، ويرعى الله في كل حقوقها وكانت المرأة أيضاً تقدس حقوق زوجها عليها، كأنها من مناسك الإسلام، وتعتبر بيت زوجها كأنه محراب عبادة.

التعاون، التعاطف، التآلف، النقاء، الإخلاص، الإيثار، التراحم، هذه المعاني القيمة العظيمة لا يمكن أن تجدها مجتمعة، إلا في بيت يلتزم كل من الزوجين فيه بأحكام الله وتعاليمه.

وبقدر تمسك كل من الزوجين بأحكام الله تكون سعادتهما، وبقدر ابتعادهما أو ابتعاد أحدهما يكون الشقاء.

* * *